عَلاقة الملك هنري الثامن بالبابويه

م. عدنان صالح محمد
المديرية العامة للتربية في محافظة صلاح الدين

الملخص

علاقة الملك هنري الثامن بالبابويه من المواضيع المهمه التي لم يعرف القارئ العربي الكثير عن هذه العلاقه على الرغم من احتكاك بريطانيا بالعالم العربي منذ أمد بعيد .

تعد مسألة طلاق هنري الثامن من كاثرين الاراغوانيه السبب المباشر للخلاف بين انكلترا والبابويه ، وعلى الرغم من مسألة الطلاق ، كانت هناك عوامل مهمة اخرى ، لم تكن اقل تأثيراً من قضية الملك ، تجمعت بمرور الزمن ودفعت بأنكلترا لقطع علاقتها مع البابويه .

كانت سياسة البابوات تتعارض مع التطلعات القوميه ، وكانت سلطة البابا ورجال الدين في فرض الضرائب وفي المسائل القضائيه تتعارض مع الروح القوميه ونية الملك هنري الثامن في تثبيت السلطه في بلاده ، وكان الناس في انكلترا يحبذون تأميم الكنيسه في بلادهم ويطالبون بوضع حد لسلطة ونفوذ رجال الدين ، الذين كانوا هيئه منفصله على شكل دوله داخل دوله لا يتبعون سوى رياستهم ولا يدفعون شيئاً الا لخزانتهم ، وكان الرأي العام مهيئاً لتأييد الملكيه في الاستقلال عن كنيسة روما .

تم تقسيم البحث إلى ثلاث محاور ، تناول المحور الأول نشأة هنري الثامن وتعليمه وبداية نشاطه السياسي ، فيما تناول المحور الثاني اعتلاء هنري الثامن العرش الانكليزي ، أما المحور الثالث فقد تطرق إلى جذور الخلاف بين الملك هنري الثامن والبابويه .

تقديم

وضعت الاخطاء الكثيرة التي ارتكبت خلال العهود السابقه في انكلترا ، ملوك آل تيودور امام تداعيات خطيره ، وخاصه حرب الوردتين بين عائلتي يورك ولانكستر (1455-1485 م) ، ذلك ان اوضاع البلاد ساءت ، لاسيما ألاقتصاديه منها ، فقاموا بمجموعة من الاجراءات مستهدفين معالجة هذه الجوانب ، وبالفعل تمكنوا من توفير الاستقرار والسلام الداخلي .

يَعد الملك هنري الثامن نفسه حاكماً مطلق الصلاحيه في بلاده ، خاصه بعد ان اقدم على اجراء خطير في تاريخ نظام الحكم في انكلترا ، حين امر البرلمان بأصدار مرسوم السياده القاضي بالانفصال عن البابويه عام 1534م ، ومنذ ذلك الحين وضع البلاد تحت تحديات لاهوتيه معقده .

تبنى الملك هنري الثامن اصلاحاً دينياً من نوع خاص ، لالوثري وليس كالفني ولم يكن يحسب نفسه من البروتستانت ، ولم يعد كنيسته جزءاً من الكنائس البروتستانيه على الرغم من انفصال الكنيسه الانكليزيه عن البابويه ، لم يرفض هنري الثامن العقيده الكاثوليكيه ، وبقيت الكنيسه الانكليزية في مدة حكمهِ كاثوليكيه بالكامل تقريباً عدا نقض الولاء لروما والغاء الاديره والتقليل من شأن القديسين ، وكان هنري الثامن يريد اصلاحاً كنيسياً ، وبمعنى آخر كان يريد الكاثوليكية بدون البابا .

وكان لانفصال انكلترا عن الكنيسه الكاثوليكيه اسباب سياسيه واقتصاديه واجتماعيه ومن هنا يعد انفصال انكلترا عن الكنيسه الكاثوليكيه حدثاً سياسياً ، دينياً ، اجتماعياً في آن واحد ، اذ كانت الكنيسه تبدو بتنظيمها عبئاً ثقيلاً على النظام الاقتصادي والاجتماعي في عهد الملك هنري الثامن ، وكان هناك الكثير من شرائح المجتمع يكرهون السلطات الواسعه للبابا وصلاحياته في انكلترا .

الهدف من كتابة هذا البحث هو متابعة ذلك التطور الخطير في تاريخ نظام الحكم الانكليزي على عهد الملك هنري الثامن ،اذ شكلت تداعياً في مستقبل انكلترا السياسي والديني، قُسم البحث الى ثلاث محاور ، تناول المحور الاول نشأة هنري الثامن وتعليمه وبداية نشاطه السياسي ، اذا اسند اليه والده الملك هنري السابع اول مسؤوليه وهو في عمر سنتين ، فيما تناول المحور الثاني اعتلاء هنري الثامن العرش الانكليزي ، اما المحور الثالث فقد تطرق الى جذور الخلاف بين الملك هنري الثامن والبابويه ، اذ شهدت السنين الاولى من حكم الملك علاقات جيدة مع البابويه ، وقد خاض هنري الثامن حرباً ضد فرنسا إرضاءاً للبابا ولكسب وده ، لكن العلاقات بدءات بالتدهور عندما برزت قضيه طلاق هنري من كاثرين .

نشأة هنري الثامن وتعليمه وبداية نشاطه السياسي :-

ينحدر هنري الثامن **(Henry VIII)** من اسرة ذات اصول ويلزيه ، وقد ولد في 28 حزيران 1491 في قصر جرينتش ، وهو الابن الثالث للملك هنري السابع **(Henry II)** (1457- 1509 / 1485- 1509) والملكه اليزابيث ، ومن بين ابناء هنري السابع السبع لم يبقى الا ثلاث اشقاء لهنري الثامن وهم أرثر ومارغريت وماري ، وبعد سنتان من ولادته عام 1493م عينه والده مسؤولا عن الامن في قلعه دوفر ، وفي عام 1494م تم تنصيبه دوقاً ليورك ، ثم تلا ذلك تعينه إيرل لانكلترا ، ثم ممثلاً للملك ورئيساً للمجلس التنفيذي الايرلندي[1]. تلقى هنري تعليماً جيداً اذ يمتاز تعليم اغلبية الاسر الاستقراطيه في انكلترا بكونه يتم داخل المنازل ، لعدم وجود مدارس كثيرة في ذلك الوقت ، وهي ان كانت موجودة الا انها مختصرة على مناطق محدده ، قد تكون بعيده عن مساكن هذه الاسرة من جهه ، وليست بالمستوى المطلوب من جهه

آخرى [2]، وواقع الامر ان اسرة ال تيودور ، كانت تشجع العلم دائماً ، وقد تولى تربية الامير هنري الثامن عدد من مشاهير العلماء الأوربيين ممن اتوا الى انكلترا لنشر العلم واخذ هولاء على عاتقهم مهمة نشر تعاليم القدماء ، فضلا عن ارائهم الخاصه عن الحياة ، والناس والعلاقات الانسانيه ، وقد اتقن هنري الثامن اللاتينيه ، الفرنسيه ، الاسبانيه ، ولما كان من المتوقع أن ينتقل العرش الى الامير آرثر – الاخ الأكبر لهنري – فقد جرى اعداد هنري للحياة الكنيسيه [3].

يبدو ان التعليم في انكلترا ، وعلى الرغم من موقعها الجغرافي المنعزل عن القارة الاوربية، لم يكن يتمتع بالمستوى المطلوب ، اذ كان غالبية الشعب الانكليزي في القرن الخامس عشر يعاني من الجهل والتخلف ، شأنه في ذلك شأن بقية الدول الاوربية الاخرى ، وينحصر التعليم في الأسر الارستقراطيه التي كانت تستقدم المربين الى المساكن لغرض تعليم ابناءها واعدادهم اعدادا جيدا ، ومن حسن حظ هنري الثامن ان ولادته كانت قد تزامنت مع اعتاب النهضه الاوربيه التي كانت على الابواب .

حرص الملك هنري السابع ، الذي كان رجلاً جشعاً محباً للمال ، على تزويج ابنائه من بنات الملوك والأمراء ، بعد ان يتخطو الثانيه عشره من سنين اعمارهم ، فزوج ابنه الأكبر وولي عهده الأمير آرثر **(Arthur)** من كاثرين الاراغوانيه **(Catharine of Aragon)** رابع بنات فرديناند الثاني وإيزابيلا الأولى ملكه قشتاله ، كما قام بتزويج ابنته مارغريت **(Margaret)** من ملك اسكتلندا جيمس الرابع (1488– 1513م) وكان هدف هنري السابع من هذه المصاهرات ايجاد حلفاء اقوياء لانكلترا [4].

لم يدم زواج الأمير آرثر من كاثرين طويلاً لوفاة آرثر في نيسان 1502م ،وبعد وفاة الأمير آرثر ، اصبحت كاثرين وحيده ارمله في بلد غريب ، ولم يكن هنري السبع يرغب بعودة كاثرين الى اسبانيا ، وأراد ان يجدد مصاهرته مع الملك فرديناند القوي ، فما كان منه إلا أن وجد مخرجاً لهذه القضيه ، فأقترح ان يزوج كاثرين من ابنه الثاني الأمير هنري – الملك هنري الثامن فيما بعد – على الرغم من انها كانت تكبر هنري الصبي بست سنوات ، لذا فأن زواج هنري بكاثرين الذي تم فيما بعد ، يُعد زواجاً سياسياً [5].

لم يمانع الملك فرديناند على الرغم من الاعتراض الخطير الذي قام ضد هذا الزواج ، لأن الكنيسه الكاثوليكيه لأتسمح بزواج أي رجل من ارملة أخيه ، وهناك آيه في العهد القديم من الكتاب المقدس تحرم هذا الزواج **((وإذا أخذ رجل امرأة أخيه ، فذلك نجاسة ، قد كشف عورة اخيه ، يكونان عقيمين))** [6]، ولكن هناك آيه أخرى في الكتاب المقدس تنص على خلاف ذلك **((واذا سكن أخوه معاً ومات واحدٌ منهم وليس لهُ ابن ، فلا تصير امرأة الميت الى خارجٍ لرجل اجنبي ، اخو زوجها يدخلُ عليها ويتخذها لنفسهِ زوجه ، ويقومُ لها بواجب اخي الزوج، والبكر الذي تلدهُ يقومُ بأسم اخيه الميت ، لئلا يمحي اسمه من اسرائيل))** [7].

عمل كل من هنري السابع وفرديناند كل مافي وسعهما على اقناع البابا يوليوس الثاني (**Julius II**) (1503– 1513م) على ان يمنحهما ترخيصاً بهذا الزواج ، وقد قُدم الطلب فعلاً ، ومنح الترخيص في كانون الأول 1503م ، وتمت خطبة الأمير هنري من الأرمله كاثرين ، ولما كان العريس (هنري الأبن) لايزال في الثانيه عشره من عمره وقتذاك ، فقد أُجلت المعاشره الزوجيه لحين بلوغ هنري سن الرشد [8].

اعتلاء هنري الثامن عرش انكلترا :-

في عام 1509م توفى الملك هنري السابع وتولى عرش انكلترا ابنه هنري الثامن (1491– 1547م) الذي توج ملكاً على انكلترا في 24 حزيران 1509م ، بعد ان ورث عن ابيه مملكه موحده سياسياً واقتصادياً وتمتلك ثروه عظيمه يسودها السلام وسلطه ملكيه قوية الدعائم[9]، وعلى الرغم من ذلك كان أمام الملك الجديد هنري الثامن مهمات كثيره ، في مقدمتها اصلاح اوضاع بلاده السياسيه الداخليه ، ومعالجة تسرب الفكر اللوثري والكالفني فيما بعد [10].

سار هنري الثامن على نهج ابيه من ناحية اضعاف النبلاء ، والأعتماد على الطبقه الوسطى (البرجوازيه) وهم اصحاب التجاره والصناعه والفئه المثقفه في المجتمع في حفظ النظام الداخلي ، وقد ادت هذه الطبقه دوراً اساسياً في الاقتصاد والتعليم ، ومساندت الدوله ، وبالمقابل منَح هنري الثامن الطبقه الوسطى الامتيازات التجاريه والاحتكاريه والقيام بالمشاريع المربحه وتخويلها عقد معاهدات تجاريه ، وعمل على توفير الحمايه لهذه الطبقه [11].

كان هنري الثامن شاباً جميلاً في الثامنه عشر من عمره عندما اصبح ملكاً على انكلترا ، وبعد يومين من تتويجه ، اصدر آمر بأعتقال اثنين من وزراء ابيه الذين لم يكونا يحظون بشعبيه كبيره وهم السير ريتشارد إمبسون وادموند دادلي واتهمهما بالخيانه العظمى وجرى اعدامهما عام 1510م ، وكان هذا هو تكتيكه الاول للتعامل مع هولاء الذين وقفوا في طريقه ، كان هنري الثامن يدرك حاجته الى رجال اقوياء لكي يتمكن من ادارة شؤون مملكته ، ويُعد توماس ولسي (**Thomas Wolsey**) (1474– 1530م) من ابرز الشخصيات التي اعتمد عليها هنري الثامن [12].

قام الملك الشاب بعد ستة اسابيع من ارتقائه العرش بالزواج من كاثرين ، ويُعد هذا الزواج ثورة دينيه ادت فيما بعد الى فصل كنيسة انكلترا عن كنيسة روما الكاثوليكيه كما سنرى[13].

توقع الشعب الانكليزي خيراً كثيراً بعد اعتلاء الملك هنري الثامن العرش ، اذ كان جريئاً ذكياً ، درس على ايدي افضل علماء اوربا ، بأعتباره كاثوليكياً فقد درس اللاتينيه والدين،

كما بدأ هنري الثامن في صورة رجل عصر النهضه ، واصبح بلاطه قبلة المبدعين من العلماء والادباء والفنانين [14].

وفي عام 1511م اعلن البابا يوليوس الثاني تحالفاً مقدساً ضد فرنسا ، ولم يشمل التحالف الجديد اسبانيا والامبراطوريه الرومانيه المقدسه فقط ، وانما ضم انكلترا ايضاً ، اتخذ هنري هذه المناسبه ذريعه لتوسيع نطاق سيطرته في شمال فرنسا ، وعقد معاهده ويستمنستر **(Westminster)** ، تشرين الثاني 1511م والتي نصت على الدعم المتبادل مع اسبانيا ضد فرنسا [15].

في عام 1513م غزا هنري الثامن فرنسا ، وهزمت قواته الجيش الفرنسي في معركة سبرز **(Spurs)** ثم اوقع هزيمه آخرى بالقوات الاسكتلنديه المتحالفه مع فرنسا في موقعة فلودان **(Flodden)** وقد ادى هذان الانتصاران الى كسب ود البابا واعادة هيبة انكلترا في اوربا [16].

اصدر هنري الثامن في عام 1521م كتاباً (رساله) مشهوره باللغه اللاتينيه بعنوان **(Assertio septem sacramentorun)** ، دافع فيه عن الاسرار السبعه المقدسه **(The deference of the seven sacraments)** رد فيه على تعاليم مارتن لوثر **(Martin luther)** ، ويبدو ان هنري الثامن اراد ان يكون هذا الكتاب رادعاً للحركه اللوثريه او ربما لأظهار سعة علمه في اللاهوت ، واعتقد الكثيرون ان ولسي هو المؤلف الحقيقي للكتاب ، وانه من اقترح على الملك هنري الثامن تأليف هذا الكتاب وهو صاحب ما ورد فيه من افكار رئيسيه بوصفها جزءاً من دُبلوماسيته في اوربا [17]، وقام هنري الثامن بأهداء نسخه من الكتاب الى البابا ليو العاشر **(Leo X)** (1475– 1521/ 1513– 1521م) طالباً منه ان يمنحه لقب **(حامي العقيده) (Defender of the faith)** ، وافق البابا على ذلك ، ومن شدة فرحه باللقب آمر بوضع هذا اللقب على العملات النقديه في البلاد ، ولايزال ملوك انكلترا يحملون هذا اللقب ، وينقش على النقود الانكليزيه حتى اليوم ، كما منحه البابا ايضاً لقب **(حامي الايمان)** [18].

لم يستمر الوفاق طويلاً بين هنري الثامن والبابويه ، ويرجع هذا الخلاف الى قضيه شخصيه تخص هنري الثامن وزوجته كاثرين الاراغوانيه التي لم تلد لزوجها ولد ذكر يرث العرش ويضمن استمرارية عائلة تيودور في الحكم [19].

جذور الخلاف بين هنري الثامن والبابويه :-

طلاق هنري الثامن من كاثرين الاراغوانيه :-

يبدو ان مسألة طلاق الملك هنري الثامن من كاثرين يعد السبب المباشر للخلاف بين انكلترا والبابويه ، وفي السنوات الخمس الاولى من زواج هنري ، انجبت كاثرين اربعه اولاد لم

يبق اي واحد منهم اكثر من اسابيع ، وفي 18 شباط 1516م انجبت كاثرين طفله قدر لها ان تكون الملكه ماري (1553- 1558م) فيما بعد ، وفي عام 1518م انجبت كاثرين ابناً ، ولد ميتاً، كان هنري الثامن يرغب ان تنجب له كاثرين ولد يرث العرش ، وكان الشعب يشاركه هذا الاحساس ، اذ لايمكن اغفال العقليه الانكليزيه المحافظه في وجوب انجاب صبي لوراثه العرش، لأن في ذلك استقرار للسلطه السياسيه في البلاد ، وخاصة بعد الحرب الاهليه الطاحنه التي شهدتها البلاد الا وهي حرب الوردتين **(The war of the Roses)** (1455- 1485م) ، واشتدت خيبة امل الملك والبلاد لان ماري البالغه من العمر عامين كانت قد خطبت الى ولي عهد فرنسا ، واذا لم يُرزق هنري بولد فأن ماري سوف ترث العرش الانكليزي ، وعندما يكون زوجها ملكاً على فرنسا فأنه يكون في الواقع ملكاً على انكلترا ، كذلك تصبح انكلترا مقاطعه تابعه لفرنسا [20].

وفي عام 1525م بعد ان تخلى هنري الثامن عن كل امل في الحصول على ذريه آخرى من كاثرين ، بدأ يفكر في ايجاد طريقه للحصول على الطلاق منها ، او بعبارة أدق في اعلان بطلان زواجه بحجة ان الزواج كان مخالفاً لقوانين الكنيسه التي تحرم الزواج من ارملة الأخ ، فضلاً عن عدم ارتياح ضميره من معاشرة ارملة اخيه ، ان الديانه المسيحيه كانت تحرم مثل ذلك الزواج قبل الفتوى التي حصل عليها هنري السابع وفرديناند من البابا يوليوس الثاني [21].

بات استمرار ولاء انكلترا للبابويه رهناً بأقرار البابا كليمنت السابع **(Clement VII)** (1478- 1534/ 1523- 1534م) ، بطلاق هنري الثامن من كاثرين الاراغوانيه ، لكن البابا لم يستطع تحقيق رغبة الملك هنري الثامن ، لأن في هذا مخالفه صريحه لقواعد الديانه المسيحيه التي تحرم الطلاق ، والزواج من امرأه آخرى لان قوانين الكنيسه لم تسمح للرجل أن يتزوج بأكثر من واحده – لاسيما المذهب الكاثوليكي لأن رابطة الزواج لايمكن ان تحل مطلقاً ، فالزواج يجب ان يستمر طوال العمر ، ولأ يفترق الزوجان إلا بالموت ، لأنه سر من الاسرار السبعه المقدسه حتى في حال تعذر توافق الزوجين ، لا تسمح الكنيسه إلا بالتفريق بين الزوجين دون فسخ عقد الزواج ، وهناك نص في الانجيل تعتمد عليه الكنيسه في هذا الموضوع [22].

((من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها ، وان طلقت امرأه زوجها وتزوجت بآخر تزني))[23].

كان هنري الثامن قد وقع في حب امرأه لعوب تدعى آن بولين **(Anne Boleyn)** (1507- 1536م) احدى وصيفات الملكه كاثرين ، وفي الوقت نفسه كان هنري الثامن يطمح في الحصول على محلل بابوي لفسخ او بطلان زواجه من كاثرين ، ولم يكن احد يتصور ان هذه المسألة ستؤدي الى انفصال انكلترا عن الكنيسه الكاثوليكيه بعد سنوات [24].

وفي عام 1527م خول الملك هنري الثامن الكاردينال ولسي تنظيم إلغاء زواجه من كاثرين عند البابا كلمنت السابع ، وقام ولسي برفع طلب إلى روما للحصول على قرار من البابا بإلغاء الزواج الذي أجازه سلفه البابا يوليوس الثاني ، وكتب ولسي في سياق الرساله التي ارسلها الى البابا ((**نظراً لأن زواجاً كهذا ، يعتبر مخالفاً لقوانين الرب ، فأن ضمير الملك قلق جداً**)) ، رفض البابا كلمنت السابع طلب الملك هنري الثامن على الرغم من استطاعته الاستجابه لطلب الملك في المصادقه على بطلان الزواج ، لذلك وصف رفض البابا لطلب الملك بأنه ((**أمر غير حكيم**)) لأن هناك حالات كثيرة مشابهه لحالة هنري الثامن وكاثرين في تاريخ البابويه ، اذ كانت البابويه قد اقرت حديثاً طلاق اخت الملك_هنري الثامن_(ماركريت) من جيمس الرابع ملك اسكتلندا ، لمسوغات أقل شأناً من مسوغات هنري الثامن ، وكان هنري الثامن قد وصف حكم البابا بشأن أخته ب **(الحكم المخزي)** [25].

لم يكن في استطاعة البابا كلمنت السابع في تلك الاوقات ان يمنح الملك هنري الثامن الطلاق ،وترجع اسباب ذلك إلى ان البابا عندما وصله طلب بطلان الزواج ، كان قد وقع تحت سلطه ونفوذ الامبراطور شارل الخامس**(Charlers V)** (1500– 1558/ 1516– 1556م) ، امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة ، بعد ان تمكن جيش الامبرطور بقيادة الدوق بوربون في عام 1527م من الاستيلاء على روما ، واصبح البابا منذ ذلك الوقت اسيراً بين يدي الامبرطور ، ولأن كاثرين هي عمة الامبراطور ، فلا يمكن للبابا ان يوافق على طلاقها ، فضلاً عن أن البابا لا يريد إلغاء شرعية الفتوى التي منحها سلفه بشأن زواج هنري وكاثرين ، ويظهر خطأ سلفه [26].

كانت هناك عوامل آخرى مهمه الى جانب العوامل التي تم ذكرها سابقاً بخصوص انفصال الكنيسه الانكليزيه عن كنيسة روما ، تجمعت بمرور الزمن ودفعت بانكلترا لقطع علاقتها عن البابويه ، وان الدارس لتاريخ انكلترا في المراحل التي سبقت الانفصال يرى بوضوح محاولات ملوك انكلترا لغرض سيطرتهم على رجال الدين ، ولا سيما هنري الأول (1100– 1135م) وهنري الثاني (1154– 1189م) وجون (يوحنا) (1199– 1216م) وغيرهم من الذين كانوا يريدون القضاء على الكثير من المزايا التي كان يتمتع بها رجال الدين ، كاستقلالية المحاكم الكنيسيه ، ووضع حد لسلطة البابا في تعيين المجلس الاكليروسي **(Connotation)** في البلاد ، وقطع او على الأقل خفض نسبة الجزيه المدفوعه للبابويه ، لكن هولاء الملوك ، شأنهم شأن باقي ملوك أوربا ، لم يستطيعوا أن يجعلوا من الكنيسه مؤسسه وطنيه تابعه للدوله [27].

استمر ولسي في مسعاه لكسب قضية الملك ، ونوقشت عدة اقتراحات من أجل حل مشكلة الملك ومنها : زواج هنري بامرأه آخرى وسماح البابا لهُ بالأحتفاظ بزوجتين لكن الملك

عدل عن هذا الأقتراح قبل أن يعرض على البابا لمناقشته في خريف عام 1527م ، وفي نهاية العام طلب هنري من البابا أن يعين مع الكاردينال ولسي قاضياً رسولياً آخر لعقد محكمه في انكلترا ، تسمع الدليل وتحكم على زواج الملك بكاثرين ، واذعن البابا كلمنت في 13 نيسان 1528م وعين الكاردينال كامبيجيو **(Capeggio)** لعقد جلسات مع ولسي في لندن وانشاء محكمه تنوب عن البابا برئاستهما لحل مسألة الزواج ، وصل كامبيجيو الى انكلترا في تشرين الأول 1528م ، لكن المحكمه لم تبدأ بعقد جلساتها حتى شهر حزيران من عام 1529م ، وخلال تلك المدة حدثت تغييرات سياسيه وعسكريه عديده ، جعلت البابا يتحول اكثر فأكثر ضد رغبات هنري الثامن ، وقد اصبحت ايطاليا تحت نفوذ الامبراطور شارل عندما وقع الملك الفرنسي (فرانسو الأول) **(Francio I)** ، في 5 آب 1528 معاهده كامبراي **(Cambrai)** التي سلمت في الواقع ايطاليا والبابا للأمبراطور ، وقد أدت هذه المعاهده الى تعقيد مسألة طلاق هنري وتحطيم آمال ولسي وتضييق المجال عليه في حل المسأله التي أدت الى نهايته ، عقدت المحكمه جلساتها بحضور الملك والملكه في حزيران 1529م ، واستمعت الى اقوال وشهادات الزوجين ، وطالب هنري بصدور قرار واضح من المحكمه حول الموضوع ، وماطل كامبيجيو في اصدار الحكم ، وفي 23 تموز 1529م آجل كامبيجيو المحكمه الى الأول من تشرين الأول من السنه ذاتها ، وتحت ضغط شارل الخامس ، الغى البابا المحكمه وحول القضيه الى روما ، ورجع كامبيجيو الى روما [28].

وبعد مده من الانتظار ، خاب أمل الملك في الحصول على قرار من البابا ببطلان زواجه من كاثرين ،وجاءت نهاية ولسي وسلطته واتهام الملك لهُ بفشله في حل مسألة الطلاق ، وكانت هناك اسباب آخرى لسقوطه ، فقد كان لِولسي سلطات واسعه تنافس سلطات الملك ، فلم يكن ولسي مندوب البابا في انكلترا ومستشار الملك فحسب ، بل كان الوزير الأول ، ولم يكن يعد نفسه مسؤولاً عن البرلمان ، كما استغل ولسي سلطاته لمصالحه ومصالح اقربائه ، الأمر الذي خلق لهُ منافسين كثيرين في حاشية الملك ، كما ادت سياسته الخارجيه الى نتائج غير مرضيه ،بعدما دفع بأنكلترا عام 1522م الى الأنضمام الى شارل الخامس في حربه ضد فرنسا ، عندما وعده شارل بمساعدته وتأييده في الحصول على منصب البابويه ، فضلاً عن غرور ولسي وكبريائه ، وانتهاكه لامتيازات رجال الدين الانكليزي والنبلاء بسبب سلطاته السياسيه والقضائيه الواسعه ، وفي عام 1529م أصدر الملك هنري اوامره بعزل ولسي من مناصبه السياسيه ، مع السماح لهُ بالأحتفاظ بمنصبه كرئيس لأساقفة يورك ، وبأموال شخصيه تكفي احتياجاته ، وفي عام 1530م اتهم ولسي ، بأنه اشار على البابا بحرمان الملك هنري الثامن من غفران الكنيسه والطلب منه تشجيع الأمبراطور شارل الخامس ضد انكلترا ، لذا آمر

الملك بالقبض على ولسي بتهمة الخيانه ، لكن ولسي توفى في 29 تشرين الثاني 1530م وهو في طريقه الى لندن لتقديمه الى المحاكمه [29].

بقيت مسألة طلاق هنري الثامن من كاثرين معلقه الى ان تم حلها بعد سنوات بواسطة البرلمان ، ولكي يمضي الملك في مشروعه كان عليه ان يخضع البرلمان لرغباته واجبره على تنفيذ آوامره ، ولم يتردد في اعدام معارضيه السياسين ، فأعلن البرلمان تأييده لهنري الثامن وهكذا تمكن من استجماع قواه واكتساب شرعيه دنيويه لمواجهة البابا وذيول الكنيسه في انكلترا ومنهم اللوردات الروحانيون ممثلوا الكنيسه في البرلمان ، وبالفعل فقد وجد نفسه مدعوماً في خطواته هذه من الطبقه الوسطى التي تبغي تقويته في مواجهة الأمراء الاقطاعين والقضاء على النبلاء الى جانب تأييد عدد كبير من اللوردات الدنيوين الناقمين على سلطة روما ورجالها في انكلترا [30].

وفي 22 آب 1532م توفي وارهام رئيس اساقفة كانتربيري (**Archbishop of Canterbury**) ، وعين الملك بدلاً عنه توماس كرانمر (**Thomas Cranmer**) في كانون الثاني 1533 على الرغم من محاولات الأسقف الكاثوليكي المتشدد ستيفن كاردنر (**Stephen Gardiner**) (1497– 1555م) للحصول على المنصب .

وفي نيسان من العام نفسه حصل الملك هنري لثامن على موافقة المجلس الاكليروسي على طلاقه من كاثرين ، وفي 23 آيار اعلن كرانمر بطلان زواج هنري من كاثرين ، وقد دفع الملك البرلمان الى اصدار مرسوم السياده (**The Dominion Act**) القاضي بالأنفصال عن البابويه عام 1534م ، وتضمن ستة بنود ، منها تأكيد موقع السيد الأعلى (**The Supreme Headship**) المتسلط على الكنيسه الانكليزيه ، والمقصود ان يكون ملك البلاد الرئيس الاعلى لها بدلاً من البابا ، فصارت لهُ الزعامتان الدنيويه والدينيه ، وهو التطور الأخطر في تاريخ نظام الحكم في انكلترا حين نقل المرجعيه السياسيه والدينيه من الكنيسه الى البلاط [31].

كان هنري الثامن قد تزوج سراً من آن بولين، في 25 كانون الثاني عام 1533 ، وكانت حاملاً منه ، وبعد خمسة ايام أُعلن أن (آن بولين) زوجه شرعيه لهنري الثامن ، ووافق البرلمان على ذلك ، لكن البابا كلمنت السابع أعلن بطلان زواج الملك هنري الثامن من آن بولين وأن الاولاد الذين سيكونون ثمرة هذا الزواج غير شرعيين ، وفي 22 تموز 1533م اصدر البابا مرسوماً حَرم بموجبه الملك ورئيس اساقفته من غفران الكنيسه مع تعليق سريان الحكم حتى نهاية شهر ايلول املاً في توبة المذنبين [32].

وسنشير بأيجاز الى هنري الثامن وزوجاته الست ، فبالنسبة لكاثرين الاراغوانيه ، فقد طلقها هنري الثامن 1533م وحرمها هي وابنتها (ماري) من ولاية العرش 1534م ، فأعتزلت وكانت لا تزال تدعي انها زوجة هنري الشرعيه وملكة انكلترا ، الى أن توفيت في 7 كانون

الثاني 1536م ، أما آن بولين التي ضحى من أجلها الملك كثيراً ، فقد اتهمت سنة 1536م بالخيانه (الزنا) وألغى رئيس الأساقفه كرانمر زواجها واصبحت ابنتها (اليزابيث) ابنة زنا ، وأعدمت آن في برج لندن في 19 آيار 1536م ، وفي نفس اليوم الذي أُعدمت فيه (آن) منح كرانمر محللا بالزواج مره آخرى للملك ، وفي اليوم التالي خطب هنري جين سيمور (**Jane Seymour**) سراً وتزوجها في 30 آيار 1536م ، واجتمع البرلمان في 18 حزيران 1536م وأصدر بناءاً على طلب الملك قانوناً لوراثة العرش ، أعلن بمقتضاه أن ماري واليزابيث على السواء بنتين غير شرعيتين ، وتقرر أن يقتصر التاج على الذريه المتوقع أن تنجبها جين سيمور، وولدت جين في 12 تشرين الأول 1537م ولداً (ادوارد) الذي أصبح ملكاً لانكلترا بأسم ادوارد السادس (1547– 1553) ، وماتت جين بعد ولادة ابنها بأثني عشر يوماً (24 تشرين الأول 1537م) ، وتزوج الملك بعد ذلك ثلاث مرات ، من آن كليفز (**Anne Clevis**) تزوجها في 6 كانون الثاني 1540م ، وطلقها في 24 حزيران 1540م ، ثم كاثرين هاوارد (**Catharine Howard**) تزوجها في 8 آب 1540م ، واعدمها في 12 شباط 1542م ، وأخيراً كاثرين بار (**Catharine Parr**) تزوجها في 10 تموز 1543م ، وعاشت بعد الملك [33].

وهكذا أنهى قانون السياده علاقة الكنيسه الانكليزيه بالكنيسه الكاثوليكيه الرومانيه ، وحلت محلها كنيسه وطنيه في انكلترا هي الكنيسه الانكليكانيه ، وكما يقول المفكر الفرنسي جان جاك شوفالييه ، بأن الملك هنري الثامن قام بتأميم الدين وجعل من نفسه الرئيس اللأعلى والحاكم الأسمي للكنيسه الأنكليزيه [34].

على الرغم من ان مسألة طلاق الملك كانت السبب المباشر للخلاف بين انكلترا والبابويه، الا ان هناك عوامل مهمه اخرى ، لم تكن اقل تأثيراً من قضية الملك ، تجمعت بمرور الزمن ودفعت بإنكلترا لقطع علاقتها مع البابويه ، وقبول الافكار الاصلاحيه في ما بعد ، وكما يقول المفكر هارولدلاسكي(H. Lask) ان جذور التغيير كانت تنمو منذ بضع مئات من السنين قبل مجيئ هنري الثامن الى السلطه ، ومن الخطأ ان يُنظر الى حركة الاصلاح الديني على انها وليدة اعتبارات شخصيه او طائفيه فقط ، ولم يكن السبب الرئيسي للاصلاح الديني الانكليزي ، طلب هنري بطلان الزواج بقدر ما كان من ارتفاع شأن الملكية الانكليزيه ، وبلوغها درجة من القوه جعلتها قادرة على ان ترفض التسليم بسلطة البابا في التدخل في شؤون انكلترا ، وتحكمه في مواردها [35] .

وكان لانفصال انكلترا عن الكنيسه الكاثوليكيه اسباب اقتصاديه واجتماعيه ايضاً ، ومن هنا تعد حركة الاصلاح الديني في انكلترا حدثاً سياسياً ، دينياً ، اجتماعياً في ان واحد ، اذ كانت الكنيسه تبدو بتنظيمها عبئاً ثقيلاً على النظام الاقتصادي والاجتماعي الجديد في انكلترا ، وكان

الملاكون واعيان الاقاليم والطبقة الوسطى يتطلعون الى الاستيلاء على اراضي وممتلكات الكنيسه الواسعه ، فضلاً عن رغبة البورجوازيه في اقامة كنيسه (**غير باهضه**) لا تكلفها الاموال الطائله ، اما العامه فكانوا يحتقرون القساوسه ويكرهون ضرائبهم ، والتجار ينظرون بعين حاسده على ثروة الاديره الكثيره ، والمحامين المدنيين يضجرون من علماء القانون الكنسي، وبصورة عامه كان هناك كثيرون من شرائح المجتمع كافه يكرهون السلطات الواسعه للبابا وصلاحياته في انكلترا [36] .

يبدو أن المجتمع الانكليزي كان مهيئ لاستقبال اي اصلاح ديني في البلاد بسبب المساؤ الكثيره للكنيسه الكاثوليكيه والبابا معاً ، وهكذا رحل الملك هنري الثامن في 28 كانون الثاني 1547م ، تاركاً انكلترا أمام تحديات وصراعات لاهوتيه أستمرت بعد وفاته لمده طويله .

الهوامش

1- نقلاً عن : ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) .

2- محمد يوسف ابراهيم ، المس بيل وأثرها في السياسه العراقيه ، بغداد ، مكتبة اليقظة العربيه ، 2003 ، ص24- 25 .

3- J.B. Black , The Reigh of Henry VIII (1509-1547) oxford , 1932 , p.42 .

4- William l. langer , the Encyclopedia of world history , New York , 1972, p.622 .

5- Andere Maurois , the History of England , New york , 1960 , p.416 .

6- العهد القديم ، سفر اللاويين ، الاصحاح 20 : 21 .

7- العهد القديم ، سفر التثنيه ، الاصحاح 25 : 5 - 6 .

8- James A. williamson , the Tudor age , London , 1965 , p.113.

9-World Book Childcraft International Inc. , the world Book Encyclopedia , New york , vol.6 , 1979 , p.246 .

10- محمد محمد صالح ، تاريخ اوربا من عصر النهضه وحتى الثوره الفرنسيه 1500- 1789 ، بغداد ، 1982 ، ص200 .

11- Robert E. Lerner and other ، the History of England ، New york ، 1993 ، p.423 .

12- نقلاً عن : ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) .

13- K. Morgan , the oxford History of Britain , oxford , 1990 , p.98 .

14- Samuel R. Gardiner , History of England , New york and Bombay , 1905 , vol.II , p.368 .

15- A.G.Eyre M.A. , An outline History of England , London , 1971 , p.67 .

16- H. Heaton , Economic History of Europe , London , 1952 , p.62 .

17- طالب محيبس حسن الوائلي ، العاهل والبارون ملامح الحياة البرلمانيه في بريطانيا 1066- 1949 ، دمشق ، ند للطباعه والنشر والتوزيع ، 2011 ، ص59 .

18- كلود غيو ، النظام السياسي والأداري في بريطانيا ، ترجمة: عيسى عصفور ، بيروت ، باريس ، منشورات عويدات ، د.ت ، ص55 .

19-George G. Perry , History of the Reformation in England , London , 1903 , p.82 .

20- ليلى الصباغ ، تاريخ أوربا الحديث ، الطبعه الرابعه ، دمشق ، 1998 ، ص 166-167 .

21- G. D. Mackie , the History of Scotland , London , 1977 , p.102 .

22- Ranke Leopold von , History of England , London , 1996 , vol. II , P.206 .
23- انجيل مرقص ، الاصحاح 10: آيه 11- 12.
24- G. K. A. Bell ، the English Church ، London ، n. d. ، p.16 .
25- W. E. Lunt History of England ، New york ، 1947 ، p.210 .
26- اندروملر، مختصر تاريخ الكنيسه، ترجمه: ناشد ساويرس ، الطبعه الرابعه ، القاهرة، 2003، ص684 .
27- Ilan Rachum , the Renaissance the Jerusalem publisher , New york , 1979 , p.206 .
28- ول وايريل ديورنت ، قصة الحضاره ، ترجمة: عبدالحميد يونس ، بيروت ، دار الجبل ، 1988 ، ج4 ، مج6 ، ص 87- 89 .
29- ديورنت ، المصدر السابق ، ج4 ، مج6 ، ص 91 .
30- E. H. Dance , Britain in the old world and the New , London , 1946 , p. 187 .
31- طالب محيبس حسن الوائلي ، المصدر السابق ، ص 61 .
32- Jasper God win Ridley , Thomas , Cranmer , London , 1962 , p.134 .
33- ديورانت ، المصدر السابق ، ج4 ، مج6 ، ص 122 .
34- تاريخ الفكر السياسي ، ترجمة: محمد عرب حاحيلا ، بيروت ، المؤسسه الجامعيه للدراسات والنشر والتوزيع ، 1985 ، ص 318 .
35- نشأة التحرريه الاوربيه ، ترجمة : عبدالرحمن صدقي ، مكتبة مصر ، د.م.ط. ، د.ت. ، ص22 .
36- محمد فؤاد شكري ومحمد انيس، اوربا في العصور الحديثه (من النهضه الايطاليه حتى الثورة الفرنسيه)، القاهره ، مكتبة الانجلو مصريه، 1956 ، ج1 ، ص148 - 149 .

Henry Vlll′s Relation to the pope

Adnan Salih Mohammad

Abstract

The relation of Henry Vlll′s to the popery is one of the important subjects of which the Arabic reader does not know much in spite of the contact between Britain and the Arab world in general and Iraq in particular.

Henry Vlll′s divorce of Catherine of Aragon was the direct reason, for the conflict between England and the Popery. In addition to this divorce there were other important reasons that were not less effective then it and they gathered momentum with the passage of time and led England to break her relations with the popery.

The popes policy were contradictory with the national ambitions . the popeis authority in imposing taxes and in the judicial issues was contradicted with the national spirit and Henry Vlll′s will to establish power in his country .

The people of England preferred the nationalization of the church in their country and putting an end to the power of the clergy men who were an independent body like a state with in the state and they only . followed their pope ; they did not pay anything to the state , hence the public opinion was ready to support the in dependence of the king dome from the church of Rome.

The study falls in to three parts , the first part is devoted to king henry Vlll′s career , his education and the beginning political activity . the second deals with his ascension of the throne of England . the third traces the roots of the conflict between king Henry Vlll′s and the Popery.